تفاعلية السؤال في القرآن الكريم

د. نايف بن عيسى بن ابراهيم الشدي

يستمدّ هذا الموضوع أهمّيته من أهمّية الظاهرة اللّغوية التي أقوم بدراستها والتي تتمثّل في السؤال الذي لا ينكر أحد أهميته في الاستخدام اللّغوي وحضوره المكثّف في مختلف ضروب التواصل. ولا بأس أن نذكّر ههنا بأنّ السؤال يعدُّ إلى جانب الإثبات والطلب من أهمّ الأعمال التي يأتيها الإنسان عندما يستعمل اللّغة ويؤثّر بها في غيره من الناس. فالمتكلّم في تقدير بنفنيست (Benveniste) إمّا يريد إبلاغ المخاطب خبرا، وإمّا يرغب في أن يحصل منه على خبر (السؤال)، أو هو يطلب منه القيام بفعل من الأفعال.

وأهمية السؤال تظهر حين نستحضر الوظائف التي أسندها الدارسون إليه. فـ"العلم خزائن، ومفتاحه السؤال" (البغدادي، ١٤٢١: ٢ / ٣٢)، وهو أساس التعلم ومنه ينطلق المتعلم في جميع مجالات العلوم في الحياة، وقد اعتمده المربون أداة في التربية والتعليم. وكان عندهم وسيلة تساعد المتعلّم على النقد والتفكير.

بل إن أهمية السؤال جعلت المعتنين به في قمم الأمم حضارة وتقدما. فمن أول المبادئ التي يتعلمها النشء متزامنا مع تعلم مهارات الحياة في مدارسهم: (كيف أسأل)، وتجد في كل ركن من أركان رياض الأطفال أو المراحل الابتدائية عبارة (Ask me) (اسألني) معلقة في محيط الأماكن التي يجول بها المتعلم.

فالسؤال مفتاح العلوم ومنبع توليدها، وعليه حث العلماء طلابهم إذ "لا يتعلم مستح ولا متكبر" (الأصبهاني، ١٤٠٩: ٢/ ٢٢٠) وفي كلتا الحالتين-الاستحياء و التكبر- كان سبب امتناع العلم عنهما هو عدم مبادرتهما بالسؤال؛ فالمتكبر يربأ بنفسه عن السؤال، والمستحيي لا يجد الجرأة الكافية على ذلك.

فالسؤال هو المثير للبحث والداعي إليه، وكلما كان الباحث بارعًا في الاستفهام، قاده ذلك إلى إدراك حدود في المعرفة ولم يسبقه إليها أحد، والحقيقة التي ما إن يصل إليها، حتى تتولد لديه أسئلة أخرى أكثر عمقا وأدق تفصيلا.

والسؤال يستعمل أيضا للتأثير في الآخرين. ولهذا اهتمّ به الدارسون في مجال الحجاج وبينوا وظيفته الحجَاجيّة، وكيف يستخدم أحيانا لتبكيت الخصم وإفحامه، من خلال السؤال البلاغي وما يحتويه من بسط وجهة النظر بداية ومن ثم الاحتجاج عليها.

ومن لطيف المقال في هذا السياق التفاتة اللساني البارع حاتم عبيد لتلك الملاحظات الذكية التي أبداها ابن جني في الخصائص وتدل على تفطنه لقوة هذا النوع من السؤال، وقدرته على أن يكون سلاحا ماضيا يستعمله المتكلم في انتزاع الاعترافات من المخاطب، حتى يكون ذلك طريقا إلى وعظه و تبكيته عندما أورد قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر.. ﴾ (الإنسان: ١).

ليتوقف على الأداة (هل) يرى بعضهم أنها أخرجت من بابها، وأصلها الذي هو الاستفهام إلى (قد) أي التقرير، فيكون معنى الآية: قد أتى عليه ذلك، ويقول ابن جني: "بإمكان " أن تكون مبقاة في هذا الموضع على بابها الاستفهام. فكأنه قال – والله أعلم – هل أتى على الإنسان هذا؟

فلا بد في جوابه من نعم ملفوظا بها أو مقدّرة، أي فكما أن ذلك كذلك، فينبغي للإنسان أن يحتقر نفسه ولا يأبى بما فتح له. وهذا كقولك لمن تريد الاحتجاج عليه: بالله هل سألتني فأعطيتُك؟ أي فكما أن ذلك كذلك فيجب أن تعرف حقي عليك وإحساني إليك" (ابن جني، الخصائص: ٢ / ٤٦٢).

ويتجلى تشديد ابن جني على الوظيفة الحجاجية والتبكيتية لهذا النوع من الاستفهام بوضوح في الباب الذي وسمه بـ " باب التفسير على المعنى دون اللفظ" (ابن جني، الخصائص: ٣ / ٢٦٣).

ولذا يرى كثير من الدارسين بأن السؤال مبني على التفاعلية ومنبثق منها، فهو يضيف على الخطاب المكتوب بعدًا تحاوريًا، بل يذهب عبيد إلى أبعد من ذلك حيث يعتبر أن البحث في نهاية المطاف هو (فن إثارة الأسئلة)، وتفنّنا في توليد السؤال من السؤال، ولهذا اعتبر الباحث

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الجيد هو الذي لا يفتأ يُلقي السؤال تلو السؤال... كما أن درجة التفاعل تتضاءل حين يتجرد السؤال مما يُعرف بضمائر التفاعل (interacting pronouns) أو ضمائر القارئ (reader pronouns) على حد تعبير هايلاند Hyland، ٢٠٠٥a:٣٦٩)) وترتفع عندما يُجري الكاتب سؤاله على لسان المتكلم "أنا / نحن" أو المخاطب "أنت / أنتم".

أمّا أهميّة السؤال في القرآن الكريم فلا تحتاج إلى أن نستدلّ عليها، إذ يكفي التذكر بأنّه من أكثر الأساليب الإنشائية تواترا في هذا النصّ، ولهذا السبب نجد المفسرين والبلاغيين يهتمون به، فيدرسون الأدوات المستعملة فيه، ويبيّنون أغراضه البلاغية، ويتوقفون عند المعاني التي خرج فيها عن مقتضى الظاهر.

ومن الأمور التي يجدر الانطلاق منها هي أنّ السؤال ظاهرة لغوية يُكثر الناس من استعمالها، ولا نتصوّر التواصل بينهم -مهما كان نوعه -أن يخلو منها. ولعلّ من أهمّ ما يضفيه السؤال على التواصل، وعلى الخطاب عموما، ذلك البعد التفاعلي الذي يجعل الفكرة أكثر حياة وقوّة ويجعل العلاقة بين المتكلم والمخاطَب موسومة بالتفاعل الذي يحتاج الخطاب إليه، كي يكون فاعلا ومؤثّرا في متقبّله. وسبب ذلك أنّ التفاعل سمة يتضمّنها السؤال في بنيته. لأنّ إلقاء السؤال يتضمّن بالقوّة والفعل وجود طرف ثان هو المخاطَب الذي قد يكون طرفًا بعينه أو مجموعة من الأفراد، وربما تكون ملامحه أقلّ وضوحا. ولكنّه في كلّ الحالات موجود في ثنايا السؤال. والدليل على وجوده هو السؤال نفسه، وحتّى الخطابات التي تكون من قبيل الحوار الذاتي أو ما يعرف بالمونولوج، فإنها تغدو ذات بعد تفاعليّ، إذا ما استخدم فيها المتكلم السؤال.

ولا يخفى على المتأمل أنّ انتشار السؤال في القرآن الكريم يرجع إلى أسباب منها اعتناء هذا النصّ بالمخاطَب الذي جاء في صور متنوعة، وعبّرت عنه ضمائر مختلفة وربطته بالمتكلم علاقات متباينة. فلعل ما يميز القرآن-وهو خطاب دعوة بامتياز-أنّه من أوّله إلى آخره خطاب موجّه إلى أطراف متعددة.

وكان السؤال من أهم الأدوات اللغوية التي استعملت في مخاطبة تلك الأطراف. فكان حضور السؤال واضحا في كثير من الخطابات التي وجهها الله إلى الرسول الكريم محمد (ص) مهدّئا من روعه، ومعاتبا له، ومنبها إياه "ألم نشرح لك صدرك" (الشرح:١).

وكان السؤال أيضا حاضرًا في مخاطبة الله سائر الأنبياء. والسؤال حاضر كذلك حين يخاطب الله المؤمنين أو الكافرين. وهو موجود بكثير في القصص القرآني. إذ يجيء على ألسنة الشخصيات التي يدور بينها الحوار في القرآن، ويسهم في إضفاء قدر كبير من التشويق على أحداث تلك القصص وعلى الطريقة التي تصاغ بها.

وبناء على ما سبق فإن من المفيد ووفق هذا التصور تناول "السؤال في القرآن الكريم" استنادا إلى مقاربة تفاعلية تولي عناية كبيرة إلى دور السؤال في إضفاء نوع من التفاعل وقدر من المشاركة القائمة بين أطراف التخاطب بطريقة تجعل درجة التفاعل في هذا النصّ عالية وتضفي عليه بعدًا تحاوريا.

ومن المسائل التي يعنى بها في هذا البحث والتي ستساعد على فهم الظاهرة المدروسة من الزاوية التفاعلية، تتبع المواطن التي يرد فيها السؤال وما يترتب على ذلك من وظائف مختلفة.

فالسؤال الذي يرد في مطلع سور القرآن يختلف من جهة وظائفه عن الذي يرد في مواطن أخرى، وكذلك السؤال الذي يعقبه جواب، غير السؤال الذي لا نجد له جوابا والذي يراد به ترك فسحة للمخاطَب كي يفكر وينظر ويتأمّل، والسؤال في الحوارات القرآنية يختلف عنه في الآيات التي تأتي خطابا عامّا إلى الإنسان من غير تخصيص، والسؤال الذي يتكرر في سورة الرحمان:﴿فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان﴾ له من غير شكّ وظائف من نوع خاصّ.

وتناول السؤال في هذا البحث من وجهة نظر تفاعليّة، يقتضي دراسة هذا الاستخدام اللّغوي في علاقته بالجواب للوقوف على مختلف العلاقات القائمة بينهما في ثنايا الخطاب القرآنيّ، وهو أمر فطن له الزركشي في كتاب (البرهان في علوم القرآن) حين تناول ضمن أساليب القرآن وفنونه البليغة فنّا قرآنيا جاء تحت عنوان "فيما يتعلّق بالسؤال والجواب".

ولا شكّ في أن بحثي لم يكتف بما قاله الزركشي في تلك الصفحات القليلة حول هذه الظاهرة، بل أضاف إليه ما جاء في الدرس اللغوي الحديث وفي المقاربة التفاعلية للسؤال تحديدا من ضبط لعلاقات السؤال بالجواب داخل سلسلة التواصل وما يترتب على ذلك من كشف لأنواع مختلفة من التفاعل القائمة بين السائل والمجيب، فالمعروف أنّ الجواب عادة ما يكون متعلقا وملتزما بمحتوى

السؤال ولكن هناك حالات أخرى تخرج عن هذه العلاقة.

فنجد مثلا نوعا من الأجوبة يضع السؤال نفسه موضع سؤال (أين ستقضي عطلتك؟ وهل يهمّك أمري؟) وأحسن مثال في العربيّة عن هذا النوع من الأجوبة ما يعرف بأسلوب الحكيم "يسألونك عن الأهلّة. قل هي مواقيت للناس والحجّ" (البقرة:١٨٩).

وهناك أيضا الجواب الذي يعرب فيه المخاطب عن جهله وعدم قدرته على توفير الخبر الذي يطلبه السائل منه. والغالب على هذا النوع من الإجابة الاعتذار عن ذلك الجهل. وفي ذلك تلطيف لعمل من شأنه أن يشكّل خطرا على ماء وجه السائل (رفض تقديم الخبر).

وثمّة أيضا الجواب الموجّه. والمقصود بذلك أنّ عددا مهمّا من الأسئلة يكون موجّها نحو إجابة دون أخرى (نعم/لا). وهذا ما يوحي بأنّ السائل يؤثّر جوابا ينتظره من المخاطب الذي قد يستجيب لذلك الانتظار وقد يخيّبه. وهنا يجدر البحث في مختلف أساليب التوجيه.

ولا بدّ من الإشارة أوّلا إلى استعمال السؤال بدل الاستفهام في هذا البحث، ولا يطابَق بينهما، وإن كانا في الاستعمال كثيري التلازم.

فالغالب أن يسأل الواحد منّا سؤالا ويستعمل الصيغة الاستفهاميّة، وأن يجيب المجيب عن السؤال مستعملا الصيغة الإخباريّة. ولكن الاستفهام أضيق من السؤال. فهو يحيل على نوع من الجمل يعرف بالجمل الاستفهاميّة (interrogative sentences) التي تتّسم بجملة من الخصائص التركيبيّة والنغميّة وتقترن بعدد من الأدوات والأسماء.

أمّا السؤال فعمل لغويّ ((speech act يتمّ إنجازه بواسطة التلفّظ بجملة استفهاميّة ويتم أيضا بأنواع أخرى من الجمل. ويتمثّل في طلب يُتوجّه به إلى المخاطب ويكون مداره على مدّ المتكلّم بجملة من الأخبار، فهو طلب الإجابة عن سؤال.

فالسؤال يمكن أن نجد له واسمات وعلامات، وهذا واضح في الأبنية الاستفهامية، ولكن توجد أسئلة ضمنيّة هي في الظاهر إثباتات مصحوبة بموجّه يفيد الشكّ ويدور على حالة شيء يفترض أنّ المخاطب على معرفة بها (يبدو أنّ الجماعة غادرت القاعة =هل غادرت الجماعة القاعة؟ /يبدو أنّك عازم على الخروج/ أأنت عازم على الخروج...).

هذا يقودنا إلى القول بوجود أسئلة تتجرّد من واسمات صريحة ويضطلع السياق بدور مهمّ في الاهتداء إلى إسناد قيمة السؤال إلى ما يبدو في الظاهر إثباتا (أنت جائع؟).

-البعد التفاعلي للسؤال في النص القرآني: إشارات ولطائف في نماذج من الدراسات القديمة والحديثة ك (الزركشي، الزمخشري، ابن عاشور...).

لا تعني هيمنة المقاربة البلاغيّة-النحويّة على الدراسات التي تناولت السؤال في النصّ القرآنيّ انعدام البعد التفاعلي فيها، فهي وإن كانت غير واضحة المعالم علما وتفصيلا إلا أنها وردت في إشارات ولطائف في مؤلفات متقدمة ودراسات حديثة، ومن المهم جدا الوقوف على تلك المواطن وسبرها بما قد يفتح أفاقًا للدراسات ومجالات للفهم أوسع من مجرد تحديد أدوات الاستفهام وضبط وجوه خروج الاستفهام عن مقتضى الظاهر.

فالزركشي مثلا أفرد مبحثا فيما يتعلق بالسؤال والجواب، مستهلا إياه بما يسميه السكاكي بالأسلوب الحكيم، في عناية منه بما يعدل به الجواب عما يقتضيه السؤال، ولهذا البدء دلالة على قراءة تفاعلية للتناغم ما بين السؤال والجواب.

وهي أبعد من مجرد تأصيل الحكم الإعرابي أو الصرفي وكذا البلاغي لمنظومة السؤال في اللغة، ليؤكد على ذلك في بيان أن الجواب لا يرتبط بحدود السؤال فقط، فقد يعدل الجواب عن السؤال عدولا كاملا، وقد يأتي أعم من السؤال للحاجة إليه وإن أغفله المتكلم، وقد يجيء أنقص لضرورة الحال، ممثلا على ذلك بشواهد من القرآن الكريم في إشارات لطيفة من المهم جدًا أن نتوقف عليها حال دراسة تلك الشواهد في موطنها بهذا البحث ما أمكن. (الزركشي، ١٩٥٧: ٤/٤٢ وما بعدها).

وللزمخشري في تفسيره لفتات لطيفة وقراءات فريدة بأبعادها التفاعلية التي لا تكون إلا بالسؤال، ففي مقدمته يشير إلى أسباب التأليف بقوله: "وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والأذناب"(الزمخشري، ١٤٠٧ه، المقدمة/٣).

حتى أنك تجده إذا ما تبين له تفاعلا في سياق النص قدّر فيه سؤالا وإن لم يكن

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

ظاهرًا، في إشارة إلى بالغ دور السؤال في تفاعلية النص، فعلا سبيل المثال وفي صدر تفسيره بمطلع سورة البقرة، يقدر سؤالا في إشارة إلى تفاعل لا يبلغ مبلغه إلا به في قوله تعالى: ﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:٢).

حيث يقول: "واختصّ المتقون بأنّ الكتاب لهم هدى، اتجه لسائل أن يسأل فيقول: ما بال المتقين مخصوصين بذلك؟ فوقع قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدّر" (الزمخشري،١٤٠٧ه:١/ ٤٣).

فعلى أن السياق لا يوحي بالسؤال، غير أنه لم يجد أبرع من السؤال في تفسير اختصاص المتقين بذلك، ولاريب بأن هذه اللفتة ما هي إلا مثال لوقفات وتأملات العلّامة الزمخشري في قراءة التفاعلية التي تحيي الحدث، وتحدث فعلا وردا وأكثر من ذلك مما ينتجه السؤال في القرآن الكريم، وذلك ما يسعى البحث جاهدا بألا يغيب عن التأمل والدراسة في مواطنها بإذن الله.

وقد عقد ابن جني في الخصائص بابا سماه: (باب التفسير على المعنى دون اللفظ)، استهله ببيان أثر الدراسات الظاهرية للنص على الفهم مما يغفل الوعي بالأبعاد الأعمق التي يذهب إليها.

إذ يقول: "اعلم أن هذا موضع قد أتعب كثيرًا من الناس واستهواهم، ودعاهم من سوء الرأي وفساد الاعتقاد إلى ما مذلوا به وتتابعوا فيه؛ حتى إن أكثر ما ترى من هذه الآراء المختلفة، والأقوال المستشنعة، إنما دعا إليها القائلين بها تعلقهم بظواهر هذه الأماكن، دون أن يبحثوا عن سر معانيها، ومعاقد أغراضها." (ابن جني، الخصائص:٣/ ٢٦٣).

في إشارة إلى ما يوحيه النص في طياته وما تثيره عناصره، غير أنه لم يفرد السؤال بميزة دون غيره فيما بلغ إليه بحثي، وحدود علمي، وإنما وقف عليه من خلال شواهده متفرقة جاءت في مواطنها، دون إفراد فصل أو مبحث يختص بها، وفي ذلك لا نجد ما يمكن القول بأنه إضافة كافية تروي شغف البحث وتذكيه.

ولابن عاشور في تفسيره وقفات مهمة والتفاتات ذات بعد لما يكشفه وما يضفيه السؤال من تفاعلية في استعمالات العرب له بأساليب الحديث، منطلقا من اعتبارهم "أمة جبلت على ذكاء القرائح وفطنة الأفهام، فعلى دعامة فطنتهم وذكائهم أقيمت أساليب كلامهم، وبخاصة كلام بلغائهم.

ولذلك كان الإيجاز عمود بلاغتهم لاعتماد المتكلمين على أفهام السامعين كما يقال لمحة دالة، لأجل ذلك كثر في كلامهم: المجاز، والاستعارة، والتمثيل، والكناية... واستعمال الاستفهام في التقرير أو الإنكار، ونحو ذلك. وملاك ذلك كله توفير المعاني، وأداء ما في نفس المتكلم بأوضح عبارة وأخصرها ليسهل اعتلاقها بالأذهان" (ابن عاشور، ١٩٨٤:٢/ ١١٧).

فنراه يخص الاستفهام دون غيره من أساليب اللغة ويدرجه ضمن أبواب البلاغة الكبرى كالمجاز والاستعارة وغيرهما، فهو بذلك يقدّره بما يتجاوز به كونه أسلوبا أو صيغة من الصيغ التي تستعمل لأجل غيره كأن يكون للاستعارة مثلا أو للتمثيل أو غير ذلك، في إشارة لطيفة إلى عظيم دوره، وكبير أثره، وأهمية فاعليته دون غيره.

وله تعقيبات على دلالات السؤال بما يثبت مدى عنايته بأثره الأبعد من مجرد المقاربات البلاغية والنحوية، ومن ذلك مثلا في قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ (التكوير،٢٦) بعدما بين موقعه إعرابا كجملة اعتراضية ثم أشار إلى دلالته البلاغية كونه استفهاما إنكاريا، ليتنقل بعد ذلك لأبعد من مجرد الإنكار بقوله:

"يجوز أن يكون الاستفهام مستعملا في التعجيز عن طلب طريق يسلكونه إلى مقصدهم من الطعن في القرآن؛ والمعنى: أنه قد سدت عليكم طرق بهتانكم إذ اتضح بالحجة الدامغة بطلان ادعاءكم أن القرآن كلام مجنون أو كلام كاهن، فماذا تدعون بعد ذلك.

واعلم أن جملة: ﴿ أَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ قد أرسلت مثلا، ولعله من مبتكرات القرآن وكنت رأيت في كلام بعضهم: أين يذهب بك، لمن كان في خطأ وعماية: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾" (التكوير:٢٨) (ابن عاشور، ١٩٨٤: ٣ / ٢).

وفيما سبق على أهميته لا يعد استقصاء لما في المؤلفات العربية المتقدمة بقدر ما هو وقوف على لفتات ذات أهمية وقيمة مضافة و إشارات لبعض عنايتهم على سبيل التمثيل لا الحصر، والذكر لا القصر.

ومما يستوقف الباحث فيما أُلِّف حديثًا أو متأخرًا كما يقال هو ما وجدناه في كتاب العلامة المستشرق الياباني توشيهيكو إيزوتسو (الله والإنسان في القرآن - علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم) الصادر عام ٢٠٠٧م، والذي بحث فيه عن العلاقة بين الخالق والمخلوق في دراسة دلالية عميقة من خلال نص القرآن الكريم، آخذًا بمعاني المفردات الواردة ضمن تاريخ

استعمالاتها لا ضمن مجرد السياق الذي وردت فيه، حيث عقد فيه فصلا عن (المعنى الأساسي والمعنى العلاقي) وفصّل فيه القول عن استخدامات الكلمة وفقا لذلك.

ولا شك بأن السؤال وإن جاء ضمنا ولم يفرد له عناية خاصة، إلا أن ذلك يصب في حوض القراءة التفاعلية للنص ولا يخفى ما في ذلك من لفتة مهمة وسبر معني بالأبعاد التفاعلية في نص القرآن الكريم عموما.

وهو إذ يعمد إلى فكرة الترابط في تسلسل معنى الكلمة من تاريخها الجاهلي وما أضيف إليها بعد الإسلام وما وردت به خاصة في القرآن الكريم كاملا بمعنى ضرورة النظر في معانيها وليس فقط في سياقها الذي وردت فيه كالآية التي ذكرت فيها، يؤكد على أن الأثر للمفردة ليس محصورًا على العبارة التي وردت فيه أو السياق أو حتى السورة.

"فكلمة) كتاب) مثلًا، تعني بصورة أساسية الشيء نفسه سواء أوجدت في القرآن أم خارجه، إن هذه الكلمة ما دام يعتقد أنها الكلمة نفسها من قبل المجتمع، تستبقي معناها الأساسي، الذي هو في هذه الحالة معنى عام جدًا وغير مخصص لكلمة " كتاب " حيثما وجدت ...

وفي السياق القرآني تكتسب كلمة "كتاب" أهمية غير اعتيادية كعلامة على مفهوم ديني خاص جدا، تحيط به هالة من القدسية ... وفي هذه الحالة فإن كلمة "كتاب" حالما تدخل في النظام المفهومي الإسلامي، ترتبط بعلاقة صميمية مع كلمات قرآنية ذات أهمية كبرى مثل ":الله" و "وحي" و" تنزيل " و"نبي" و " أهل" ، - في التركيب الخاص "أهل الكتاب"، وتعني الناس الذين لديهم كتاب موحى مثل المسيحيين واليهود .....

بينما يكون المعنى الأساسي لكلمة ما شيئا متأصلا في الكلمة نفسها تحمله معها أنى ذهبت، فإن المعنى العلاقي شيء إضافي يتم إلحاقه وإضافته إلى الأول باتخاذ الكلمة موقعا خاصا في حقل خاص، مرتبط بعلاقات متعددة الأشكال.

وبطبيعة الحال، إن جوا انفعاليا ذا ماهية غير عادية بالمرة يعم الحقل كله ويهيمن عليه..." (إزوتسو، ٢٠٠٧: ٤٣، ٤٤، ٤٥ بتصرف).

فالشرع فيه إحداث في اللغة لمعانٍ خاصة لا تفهم في غير سياقاته وهو ما يبني عليه مبحثه عن علاقة الله سبحانه بالإنسان في عموم كتابه.

ولبيان عنايته نجده يلمح إلماحا دون استحضار للبعد التفاعلي في السؤال بعد استعراض البنية الأساسية للرؤية القرآنية للعالم في مبحث الغيب والشهادة، بحكم أن الإنسان قد خلق ليعيش في عالم الشهادة وحده دون الخوض في عالم الغيب، فلم يكن الجواب على سؤال المشكلة الكبرى لدى المسلمين والكفار آنذاك وهي "الساعة" جوابا مباشرا، إذ أن الله وحده هو من يعلم كنهها ومتى وقتها فلما جاء سؤالهم ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الأحزاب:٦٣).

"وإذا سئل الرسول (ص) سؤالا كهذا يتعلق ب"الغيب" فعليه أن يجيب بالطريقة التالية فحسب: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ٢٥،٢٦) والسبب في ذلك كله أن الإنسان خلق ليعيش في عالم "الشهادة" وحده، ولا تتعدى معرفته حدود مجاله الطبيعي" (إزوتسو، ٢٠٠٧: ١٤٠وما بعدها).

هذا بعض ما أمكن استعراضه لالتفاتات العلماء ولطائف دراساتهم حول أثر السؤال بصيغه واستعماله وبحضوره وتقديره، وأثره لإحداث التفاعل بين قطبي الحوار، وميزته دون غيره من أساليب اللغة التي وردت في طي كلامهم، وبين شروحهم.

السؤال بين تعدّد المقاربات وغياب البعد التفاعليّ:

بداية نثبت أن الحديث عن "السؤال" وليس "الاستفهام" كون الأول هو الأكثر شمولية، والثاني فرع منه، و" تعدد المقاربات" أي تعدد منهجيات المعالجة اصطلاحًا، فالمقاربة ذات بعد لغوي وآخر اصطلاحي، ولبيانها لغةً يجدر بنا أن نحدد الفرق بَينها وبين الملاقاة، فهي كما يقول العسكري في فروقه: "أَن الشَّيْئَيْنِ يتقاربان وَبَينهمَا حاجز يُقَال التقى الحدان والفارسان والملاقاة أَيْضا أَصْلهَا أَن تكون من قُدَّام أَلا ترى أَنه لَا يُقَال لَقيته من خَلفه وَقيل اللِّقَاء اجْتِمَاع الشَّيْء مَعَ الشَّيْء على طَرِيق المقاربة"(الفروق اللغوية للعسكري: ٣٠٦).

وأما "المقاربة النسقية" فهي بين أهل الاختصاص بمختلف العلوم ذات معانٍ متقاربة على تعدد التعريفات والتي تدل بمجملها على أنها: "منهجية لمعالجة موضوع أو دراسة ظاهرة أو مشكلة ما بشكل يبرز الترابط والتفاعل بين مختلف

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

مكوناتها (عناصرها) (المعجم الوسيط: مادة قرب) فهي ما يمكن القول عنه بأنها الطريقة التي يتناول بها الدارس موضوعه.

وقد تناول العلماء والباحثون قديما وحديثا السؤال أو (الاستفهام) في إطار المقاربات البلاغية والنحوية والصرفية وما حولها، ويدور محور حديثهم ودراساتهم على المنطقية الدلالية والحجاجية والتداولية وما في فلكها.

وقد أفادت تلك الدراسات -بلا شك- في فهم الموروث وتجديد الخطاب، غير أن ما يتحتم علينا سبره، والتعمق في غوره هو تناول السؤال بعموم مفهومه؛ هل كان تناولا يجمع أطرافه، ويقف عليه باعتباره حدثا لا مجرد جملة وصياغة أو أسلوب من أساليب اللغة تنتهي دراسته عند عموم معناه، وخصوص تركيبه، وظاهره دون الحدث المحيط به، أو ما ينتجه السؤال على أطراف الحدث.

فهو هنا أشبه ما يكون بمشهد مكتمل الصورة والوقائع، ففيه سائل وسؤال ومسؤول ومسؤول عنه، وفهم ومفهوم، وفعل ورد له، وظاهر وباطن، وأثر ومؤثر ومتأثر، وغير ذلك من صياغة ومقام ولغة جسد، وظرف وحال يختلف فيه كل اعتبار منها عن غيره.

وإن تطابقت الصياغة ظاهرا، فثم فروق في المقاصد يفرضها المقام أو سبك المقال قد تقلب المعنى أو تغيره تغيرًا تامًا وفقا لما أبانت عن بعضه ضروب البلاغة ودراسة النظم، مشمولا بما يصدر عنه من فعل ورد وشد وجذب بالتفاعل الذي يعد السؤال قلبًا يدفقه في عروق الحديث، وعينًا يبصر بها ما لا يُكتب ولا يسمع وما يحسّ فيه ويُشْعَرُ به ويتأمله وما يبلغ به مبلغه.

ولذا "كان ج. فن درجبلنتس G. VON DER GABELENTZ يقول: (الإنسان لا يستخدم اللغة فحسب للتعبير عن شيء، بل للتعبير عن نفسه أيضا). ومن ثم لا ينبغي أن ندخل في اعتبارنا فقط الصورة التي تصاغ عليها الأفكار، بل أيضا العلاقات التي توجد بين هذه الأفكار وبين حساسية المتكلم. وبعبارة أخرى يجب أن نميز في كل لغة بين ما يمدنا به تحليل التصورات وبين ما يضيف إليه المتكلم من عنده: بين العنصر المنطقي والعنصر الانفعالي" (فندريس، ١٩٥٠: ١٨٣)

ولن يكون لأسلوب من أساليب اللغة كمثل (السؤال) ممسكًا بزمام التفاعل، أراد ذلك ملقيه أم لم يرد أو فَهِم ذلك متلقيه أم لم يعيه، كونه الأعم والأكثر شمولية من مجرد أسلوب استخدمه المتكلمون أو صيغ تم سبكها وفقا لأدوات محدودة الأثر وسطحية الدلالة تحقق شيئا من المقال فيما آلت إليه المعاني.

فهو بما لا ريب فيه يفتح آفاقا لا حد لها إذا لقيت متأملًا خبيرًا، وباحثًا نحريرًا، قد يفسر ما توقف عن بيانه أهل العلم بعموم تخصصاتهم، أو يجلي ما بقي في دائرة الظن، ليكون يقينا أو قريبا منه ما أمكن.

بل ونذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فالفهم قرين الفاهم، ومبني عليه، وبقدر ما يضفيه المتأمل والدارس على صيغة ما، أو عبارة مقروءة كانت أو مسموعة -قلّت أو كثرت- أو حتى نصا كامل، بقدر ما يكون لذلك من معانٍ ودلالات وقيمة تختلف باختلافه، دارسًا كان أو قارئًا، متلقيًا أو سامعا أو ما سوى ذلك، و"كل قراءة لنص هي تفسير له" (الغذامي، ٢٠٠٦: ٧٤) ما دام قارئًا ممتلكا لمهارات القراءة ولقواعد النحو ودلالات الإشارة فكل ما يفهمه جدير بالعناية والاعتبار، وحري بالقبول.

ويزيد حساسية الأمر وينقصها قداسة النص، وما يترتب عليه من أحكام، توجب معها الإحاطة بعلوم أكثر اختصاصًا ومعارف أكثر شمولا ليس المجال هنا لتأطيرها، وإن كانت حدود البحث هي القرآن الكريم، فليس من غايات هذا البحث التشريع، في حين أنه علينا اعتبارية ما يقع عليه فهم المتلقي وما يعيه والدلالات الواردة إليه وفقا لحدسه أو حدود وعيه، فلولا القارئ والمتلقي ما كان النص، فهل يعقل أن نتجاوزه؟

والاستفهام حقل كبير من حقول السؤال وأسلوب من أوضح أساليبه، وأيسر موارده، ورافد من أهم روافده، وبذا نحاول الوقوف على شيء من البعد الذي نبحث عنه فيه، وما يميزه دون غيره، ليس لمجرد تحديد القصد من الأمر، بل لما وراءه.

وكي نستجليه في بداياته لزم عقد شيء من المقارنات التي نتبين منها مكانه في محاولة لفهم أدق وانطلاقة من قاعدة أعمق للتعرف إلى كنهه، واكتشاف أوسع لماهيّته، ولما قد يُبين لنا جراء العكف على دراسته وعلاقاته وما بين الرموز واللغة ومعناها ومستخدميها، أملا حاديًا بكشف ما قد يكون خافيا أو مترقبا لمن يستبينه، ولم يصل إليه أحد بعد، فيكون لنا بذلك قصب السبق، في تؤدة ورفق، بما ينجلي لنا من دلائل ملهمة نادرة أو قيمة بالغة، لم تستشعر أو معانٍ لم تسبر.

ولا يخفى ما يترتب على ذلك من روائع مأمولة وفتح لبحوث وآفاق لا حد لها،

فالعناية بالسؤال جاءت مع بواكير صناعة علم النحو، كونه ركنًا أساسًا للإنشاء في اللغة العربية وغيرها من لغات العالم، ويتضح ذلك جليا من تخصيص الأقسام الباحثة فيه وفي تركيبه ومفاده وتأويله.

ولم تقف جهود العلماء والباحثين عند حدود ذلك فحسب، بل كانت دافعا لدارسي المناويل اللسانية حديثًا إلى عمل مقاربات نوعية لقراءة قضايا الاستفهام والسؤال قراءة جديدة استُلهمت ذلك من جهود السابقين وإثراء المتأخرين مع الاطلاع على لغات العالمين، متأثرين بنظريات غربية كما هو الحال مع نظرية تشومسكي اللسانية التوليدية التي لا نكاد نلحظ رواجا واهتماما في العالم كما لقيته النظرية التوليدية.

فقد استقبلها الباحثون عن التجديد في لغة العرب بشغف في منتصف القرن الماضي بتفاصيلها وتصوراتها، في محاولات للبحث عن توافقها ومدى تقاربها أو نقاط التقائها مع أسس وقواعد وفلسفة النحو العربي لنظرية اللغة عند المتقدمين، سعيا منهم لبناء ما قد يكون نظرية حديثة لعموم النحو العربي.

وقد كان السؤال من المرتكزات الرئيسية لتلك المحاولات الحثيثة التي بدت في ظاهرها مواجهة للبنيوية من جهة، ومتممة لما يرونه نقصا فيها من جهة أخرى، أو إثراءً لما لم يكتمل إحكامه في أمات مؤلفات التراث النحوي العربي، ومتجاوزا لمجرد دراسات الإحصاء وتتبع مسارات التأويل إلى المقاربات التحويلية التوليدية والمقاربات الوظيفية وغيرهما.

ومما يحسن المثال به من المقاربات التي يمكن القول بأنه كان لها قصب السبق في محاولة إعادة أو خلق نظرية حديثة للغة العربية تتوافق ووضعها الراهن وتستوفي جميع صور الكلام المسموع، وخروجا على المنهج الوصفي باعتباره لم يعد كافيًا لتفسير اللغة، وغير ذلك مما يعد محاولة لسبر العلاقة بين البنيتين السطحية والعميقة ويبرز دورهما بناء على المقاربة التوليديّة في عموم اللغة وفي معالجة الاستفهام تحديدا وهو ما يهمنا في هذا البحث، وما تحتمله بنيته من تحويلات وما يقوم وراءه من بنية عميقة هو ما نجده في أطروحة الفاسي الفهري "١٩٨٦" بمصنفه "اللسانيات واللغة العربية".

حيث سعى الفهري إلى تطبيق المناويل اللسانية الحديثة على اللغة العربية في محاولة منه لبناء نظريات حديثة كما تقدم، مستلهما ذلك من المنوال التوليدي ومعللا ذلك بأن "هناك نتائج كثيرة تتولد عن هذا الأسلوب الجديد وتبرير التأويلات الجديدة. ومن ذلك إنقاذ النظرية الجديدة الجديرة بالاهتمام، وخلق تجربة علمية جديدة، وتصور علوم جديدة"(الفهري،١٩٩٣: ٣٠).

ولذا فهو يعتبر التجديد مولدًا لمقاربة أكثر مرونة في العلاقة بين النظرية والتجربة مستشهدا بما يقوله الفيلسوف النمساوي فييرآبند Feyerabend: "لكي نتقدم يجب أن نبتعد شيئًا ما عن الحجة، ونقلص من درجة الكفاية التجريبية أو (المحتوى التجريبي) لنظرياتنا. نترك ما توصلنا إليه، ونبدأ من جديد" Paul Feyerabend)، ١٩٢٤ – ١٩٩٤).

وقد خص أبنية الاستفهام باختبار تغيّر الرتبة الأصلية التي بنيت لدى العرب الأولين لتكون وفقا لقواعد الاتجاه التحويلي التوليدي الذي يأمل منه إلى "بناء نظرية للغة العربية أو (نحو) يمثل الملكة الباطنية لمتكلم هذه اللغة ومستعملها" (الفهري، ١٩٩٣: ٣٢)، مفترضا عددا من الافتراضات الابستمولوجية والمنهجية والتمثيلية لتعزيز ذلك السعي.

فنراه مثلا يعنى بتحليل القواعد البنائية أو التركيبية في قسم مستقل بذلك (Phrases structure rules))، تحت ما أسماه بـ (البنى الاستخبارية) مستعرضا على عجالة تقسيمات أدوات الاستفهام ودلالاتها لينتقل إلى عدم الموافقة لصدارة الأسماء والحروف الاستفهامية، معتبرًا إياها مركبات تقوم بمقامها وإن تنحت عن الصدارة أو جاءت في وسط العبارة، وعلى ذلك يضرب الأمثلة في استعراضه للبنى الاستخبارية للاستفهام كقولك:

جاء مَن؟

أو: من ضرب من بماذا؟

معتقدًا عدم صحة ذلك في جميع الأحوال" فالأسماء التي أعتبرها مركبات إسمية أو حرفية أو ظرفية (لأنها تقوم مقامها) قد تظل في مكان داخل الجملة دون أن تتصدرها" (الفهري، ١٩٩٣: ١١٠).

ومنه يقف على ما يسمى بـ (التبئير (Focalisation)) في استعمالات السؤال أو البعد البؤري أو يمكن ترجمته بالتركيز في الفرنسية، أو المَوْضَعة (Topicalisation)) وهي كما يعرفها " عملية صورية يتم بمقتضاها نقل مقولة كبرى (Major category) كالمركبات الاسمية أو الحرفية، أو الوصفية... إلخ، من مكان داخلي... إلى مكان خارجي..." (الفهري، ١٩٩٣: ١١٤).

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

كما في قولك:

أميتا كان؟

مبينا أن صياغة هذا النقل أو التحويل يمثل مشكلا من المشاكل المطروحة في البحث اللساني، كونه لا ينطبق بصفة مطلقة، ذاكرا عددا من القيود على المكان الذي تنطلق منه المقولة المنقولة والهدف وميدان التحول وصورته، والبنية الناتجة عن ذلك التحويل (output structure) مما تمنع التبئير في التراكيب كما في:

زيدًا من ضرب؟

من أصل (منْ ضربَ زيدًا؟).

وفيه تقديم لـ زيد على صدر جملة السؤال. غير أن الفهري يرى بأنها قيود كلية ليست إلا سوى لائحة طويلة لا يوحد بينها شيء، مستعرضا جملة من القيود التي وضعها النحاة على التقديم في إشارة منه إلى ضرورة إعادة صياغتها لترجمتها في النماذج الحديثة من ذلك "ما يذكره النحاة من المقولات التي تمنع أن يعمل ما بعدها فيما قبلها، كأدوات الاستفهام..." (الفهري، ١٩٩٣: ١١٦)، ومثال ذلك عنده:

زيدًا هل رأيت؟

زيدًا كم ضربت؟

ولا يخفى أن هذه المقاربة على ما يظهر فيها من محاولات نوعية لبناء نظرية لغوية، وما بذل بها من جهود تجديدية رائدة للدرس اللغوي العربي نحوًا وبلاغةً، تبقى في حدود المقاربة التركيبة ولا تحسب حسابا للجانب التفاعلي الذي نريده ونتتبعه في بحثنا هذا.

ولم تكن تطبيقات النظرية التوليدية التحويلية هي الوحيدة التي طرقها الباحثون لإعادة قراءة النظرية اللغوية العربية قراءة جديدة لقضايا اللغة ومن أهمها السؤال الذي نحن بصدده، إذ ولدت عدد من المقاربات بنفس الغاية والتوجه والمنهجية، لكن من وجهة أخرى، ومن ذلك المقاربات النحوية الوظيفية والوصفية مثلا وغيرهما.

فما نجده عند تمام حسان مثلًا في منهجه الذي واءم فيه بين الوظيفية والوصفية، أشبه ما يكون فتحًا لآفاق البحث لمن بعده، حيث "تطور لاحقا تحت إطار الوظيفية الجديدة التي هيكل أسسها وفعّلها إجرائيا أحمد المتوكل، ودليل ذلك عنايته بالوظيفة اللغوية في مستويات اللغة المختلفة في ضوء مفهومي المقال والمقام" (موسى، ١٩٩٢: ٣٢٩ وما بعدها بتصرف).

وقد أشار إلى ذلك عدد من الباحثين بوصف منهج تمام حسان بالتوليفي بين الوظيفية والوصفية، ومنهم عطا موسى في (مناهج الدرس النحوي في العالم العربي) وعبد الرحمن العارف في الدراسة التي نشرت في (مجلة علوم اللغة،١٦)، وغيرهما.

وتعد مقاربة أحمد المتوكّل من أهم المحاولات الموسومة بالجرأة في لسانيات اللغة العربية، التي يشاد بها بين المقاربات اللسانية، فالمتأمل في طرحه يجد عنايته بما وصل إليه المتقدمون، سعيًا منه إلى تطوير ذلك بالممازجة بين الإرث الزاخر بالروائع وما توصلت إليه الدراسات الحديثة لإنضاج تلك الدراسات، والتوسع في آفاقها، مع اعتبارية للمقاربات الموروثة، وعدم الميل كل الميل إلى المناويل الحديثة التي نجد عليها شيئا من التحصل من أهمية الإرث كما يلحظ عند بعض الباحثين.

فهو يؤكد بأن علاقة لسانيات التراث باللسانيات الحديثة هي علاقة امتداد وتطور، كما أنه لم يبق في حدود اقتراحات القدماء بل كان مسايرًا للسانيات الوظيفية الحديثة نحو ما نجد في جميع مصنفاته،

ولعل ذلك يدعونا إلى أن نأخذ ما قدمه المتوكل مثالا مناسبا للوقوف على المقاربة الوظيفية في هذه التقدمة، وما الذي يدعونا للبحث بعده رغم أهمية ما تقدم به، إذ يعد نموذجا فذا للتلقي الفاعل للفكر اللساني الغربي الذي أسس له في عدد من مؤلفاته، منها كتابين من كتبه وهما "الوظائف التداولية في اللغة العربية" و "دراسات في نحو اللغة الوظيفي".

والنحو الوظيفي (Functional grammer) كما يصفه المتوكل هو الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة ولمقتضيات "النمذجة" للظواهر اللغوية من جهة أخرى فهو برأيه " محاولة لصهر بعض من مقترحات نظريات لغوية (النحو العلائقي) Relational grammar) (نحو الأحوال) Case grammar (الوظيفة) Functionalism..

ونظريات فلسفية (نظرية الأفعال اللغوية) Speech acts theory خاصة) أثبتت قيمتها، في نموذج صوري مصوغ حسب مقتضيات النمذجة في التنظير اللساني الحديث" (المتوكل، ١٩٨٥:٩)

وما يهمنا في دراساته التي وقفنا عليها هو معرفة مدى تناوله للاستفهام وهل ارتباطه بالمعلومة وبما يسمى بالبؤرة في الجملة من حيث إسنادها إلى ما يسمى بالحمل، أو إلى أحد مكوناته التي تجعل السؤال بسبب من جوابه، وإذا كان ذلك فما هي حدود التطبيق التي عمل عليها.

والحمل كما بينه المتوكل في النحو الوظيفي يُمثَّل "للعالم موضوع الحديث (سواء أكان عالم الواقع أم عالما من العوالم الممكنة) في شكل ((حمل)) يتألف من ((محمول)) وعدد معين من ((الحدود)). يدل المحمول على ((واقعة)). وتكون الواقعة إما ((عملا)) أو ((حدثا)) أو ((وضعا)) أو ((حالة)).

أما الحدود فتدل على المشاركين في الواقعة. وهي بالنظر إلى أهميتها بالنسبة للواقعة، إما حدودا موضوعات أو حدودا ((لواحق))... (المتوكل، ١٩٩٠: ٣٢).

وتقودنا هذه الإشارات إلى أهمية البحث والمقاربة للتفاعلية التي يبعثها السؤال في القرآن الكريم، وبراعته في إثارتها بين أطراف التواصل، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر، وقد أفردت في ذلك مصنفًا استعرضت فيه تفصيلًا لمواطنه وعمق أثره، أرجو أن أكون فيه موفقًا، وهو مما لا يتسع المقال لبسطه في هذا المبحث الموجز، ولعل فيه ما يكون البيان بما يجب، وإن كان العمل البشري لا يخلو من العطب.

أهم المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، (المتوفى: ٥٤٢هـ)، أمالي ابن الشجري، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تفسير القرآن الكريم، تحقيق مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت ١٣٩٣ ه، تفسير التنوير والتحرير، اسمه الأصلي: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد" الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ه.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى،٦٣٠ - ٧١١ هـ = ١٢٣٢ - ١٣١١ م، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق:عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
- أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- إزوتسو، توشيهيكو، الله والإنسان في القرآن - علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم - ترجمة وتقديم د هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان ط ١، ٢٠٠٧ م.
- الأوسي، قيس إسماعيل -أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين- بيت الحكمة / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. جامعة بغداد ١٩٨٨م.
- الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف (٤٠٣هـ -٤٧٤ هـ)، المنهاج في ترتيب الحِجاج، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الثالثة ٢٠٠١م.
- البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المتوفى ٤٦٣ه: " الفقيه والمتفقه" ، ت إسماعيل الأنصاري ، و أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي ، دار ابن الجوزي - السعودية ط الثانية ١٤٢١هـ.
- بيرلمان، الفيلسوف وعالم القانون البلجيكي شاييم بيرلمان (١٩١٢- ١٩٨٤) مقال بعنوان (Une Théorie philosophique De L'argumentation) (نحو نظرية فلسفية في الحجاج)، نُشر في مؤلفه: حقل الحجاج، (http://hekmah.org/) ترجمة: أنوار طاهر.
- التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د.جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

- جرار، كفاح، "جذر اللغة" بيان اللسان في خلق الإنسان -حقائق قرآنية - دار نينوى للدراسات والنشر / سوريا دمشق ١٤٣٥ هـ.
- دراز، صبّاح عبيد، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ط١ ١٤٠٦ -١٩٨٦ م مطبعة الأمانة / مصر.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ
- ربوزي، سمير، معاني السؤال في القرآن الكريم، مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الإسلامية والعربية، العدد الرابع عشر، ربيع الثاني ١٤٣٧ه ٢٠١٦م جامعة زيان عاشور.
- ريمون، روبيه، فلسفة القيم، ترجمة عادل العوا، دمشق، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠م.
- رينهارت، بيتر آن دُوزِي،المتوفى: ١٣٠٠هـ، تكملة المعاجم العربية،نقله إلى العربية وعلق عليه:جـ ١ - ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.
- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى / ١٤١٤ هـ.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، (المتوفى: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الدمياطي، القاهرة، الطبعة: الأولى: ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، و تتطابق نسخة دار المعرفة ببيروت بنفس الترقيم.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧هـ.
- شارودو باتريك و منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبدالقادر المهيري وحمادي صمود، دار سيانترا، ط١، ٢٠٠٨م.
- درويش، أحمد، تأملات في جماليات النص القرآني، دار نهضة مصر للنشر، الطبعة الأولى يناير ٢٠١١م
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال، العراق، ١٩٨٠م.
- بوجراند، روبرت دي، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، الناشر: علا الكتب، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ه، ١٩٩٨م.
- بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، كلية الألسن عين شمس، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- مصلوح، سعد، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، بحث منشور في مجلة الواقع الأدبي، المجلد ١٠، العدد (١و ٢)، فصول مصر، ١٩٩١م.
- مفتاح، محمد، دينامية النص: تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الرباط، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- هويسمان، دني، علم الجمال، ترجمة ظافر محمد عيد الحسن، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣ه،١٩٨٣م.
- نصور، حسن، التصعيد التكراري، إيقاع الرحمن على رؤوس الأشهاد، مجلة معازف، فبراير شباط، ٢٠١٨م.
- حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ه،١٩٩٣م.
- Owens. Karen. The world of the child. New York. Macmillan Publishing company. (١٩٩٣)
- Alice F. Freed. The form and function of questions in informal dyadic conversation. Publication: Journal of Pragmatics. Publisher: Elsevier. June ١٩٩٤.
- The purpose of life. By Jeffry Lang https://youtu.be/cojNpwlkMmk

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2